فـــن المُوشّحات الأندلســـية وتأثـــره باللفظ الدينـــي

د. مُحمّد خليفة محمد الكو ـ كلية التربية يفرن ـ جامعة الزنتان .

المقدّمـــة :

لطالما كان الأدب الأندلسي مصدر إشعاع لجمال الشعر وانعكاساً لجمال الطبيعة والحضارة التي تتميّز بها عن العصور الأخرى، وتنوع مواضيعه وفنونه وتجديدات عرضه واستحداث وتطور أغراضه فالأدب الاندلسي أدب متكامل الجوانب وبمثابة مرآة عكست لنا الأحـــداث والصور التي حدثت في ذاك العصر، لنصل إلى أواخر القرن الثالث الهجري الذي نشأت فيه الموشحات وازدهـــرت الموسيقى وشاع الغناء وامتزج العنصر العربي بالعنصر الأجنبي ونتـــج هذا عن هذا الامتزاج ولادة هذا الفن الشعري الجديد الذي تتنوع فيه القوافي والأوزان والألحان وتدعمه الثنائية اللغوية اللاتينية التي عرف بها الشعب الأندلسي ، والعربية التي جاء بها العرب من البلاد العربيةفكانت هذه الثنائية داعماً قوياً لبروز العديد من الفنون الجديدة عن تلك التقليدية المتعارف عليها سابقاً.

وهنا ظهر فن الموشح أو الموشحات كاستجابة لظاهرة اجتماعية وجدت في الأندلس من غناء وموسيقى وظفت لتكون بصمة جديدة للتغني بالشعر بعد أن كان يقال أو يحكى بالإلقاء المقفى أصبح يلحن ويقسّـــم ويعرض في شكل غير مطروق في العصور التي سبقت هذا العصر وبيئة غير هذه البيئة ومجتمع غير هذا المجتمع.

وقد كانت بدايات الموشـــح بسيطة وتقتصر على بعض المواضيع المجتمعية الضيقة كالخمر والغـزل والطبيعة وكانت في القوالب ثابتة لا تتغير ولا تتطور في غفلة الناس عنها حتى داع صيتها وعظم أمرها ، فأصبحت مرتبة ومنظّمة وصارت فن متداول بكثرة له قوالبه الخاصة وطرقه المنفردة في التأليف والإلقاء وأصبح يميل إلى التهذيب الديني الذي دخل من الفتوحات الإسلامية للأندلس ، وعن استقرار الوضع وبعد كل فترة عقبت تلك الفتوحات يزداد التهذيب الذوقي والخلقي ليفرض نفسه على كامل أوجه الحياة في الأندلس حتى وصل الأمر أن يقترن اسم الموشـــح مؤخراً بالدين ويغلب عليه مؤخراً الطابع الديني ليقال عنه" الموشح الديني أو الموشحات الدينية) ، وأصبحت جل موضوعات الموشحات تتغنى بالدّين ورموز الدين وأوامره ونواهيه.

وسأعرض في بحثي هذا بدايات الموشحات ومرورها من البدايات حتى علو نجمها ومدى تأثرها باللفظ الديني وميولها إلى الجدية والمحافظة على الوقار والمواعظ والزهـــد.

تعريف الموشحات :

" كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في أكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام ، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات يقال له الأفرع ، فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال، والأفرع ما ابتدئ فيه بالأبيات.

- كيفية التفرقة بين الأقفال والأبيات والتام والأفــرع:

ـ الأقفال هي مجموعة أجزاء متناسقة مؤلفة كل قفل فيها يتفق مع البقية وزناً وقافية وأجزاء.

ـ الأبيات هي الأجزاء المؤلفة المفردة أو المركبة ليشترط في كل منها أن يتفق مع بقية الأبيات وزناً وأجزاء فقط ولا يشترط اتفاقها في القافية بل كلما كان الخلاف في القافية كان أفضل وأحسن.

ويروي لنا بعض البحاث أن سبب تسمية الموشحات بهذا الاسم أنها مشتقة من كلمة (الوشاح) وهو حينما تقوله المعاجم - كرسالة لؤلؤ وجوهر منظومات مخالف بينهما معطوف احداهما على الآخر.

وهنا يعطينا هذا التوضيح بما معناه أن الموشح تشكيلة مزدوجة متعارضة وليست على نفس النسق الواحد لتخرج عن المألوف والعمل وتدخل في جذب الانتباه وجمال النسق والتنسيق كنوع من الزخـــرفة أو التوشية والنقش الجميل، وبعضهم اتجه إلى أن هذا النظم كرقعة الثوب الذي تتوســـطه خطوطًا أفقية وعمودية رسمت على أشطار ثم جُزأت إلى أجزاء أصغر فأصبحت تتوسطه كالأغصان وأصغر من أشطار القصيدة وتابعت بعضها بعضا في عدة وحدات وحديتين أو ثلاث وحدات أم أكثر"[1]

وصنفت نشأة الموشحات أنها كانت تعتمد على لفظ عامي أو عجمي من غير تضمين فيها ولا أغصانفالتضمين هو هذه التجزئة أو التغصين بالمقابلة بين الجزاء الصغيرة في نطاق رقعة واحدة، أي : أن التضمين هو صف الجزئيات التي تكون كلاً واحداً وعلى ذلك يمكن أن نقول أن الفاظ التوشيح والتضمين والتغصين (أو الموشح والمضمن

والمغصن " تشـــير جميعاً إلى عملية واحدة أضف إليها لفظة أخرى هي التسميط أو (المسمط) وتعني : الانتظام في صفوف غير أن ولوع الأندلسيين بذكر المجوهرات والحلى وصنوف الزينة في مؤلفاتهم واسمائهم صرف الزهد إلى معنى التراوح بين الجوهر واللؤلؤ في تركيب الوشاح وهو من حيث الشكل لا يوحي بترتيب المنظومة التي سميت "الموشحة".

وسمي هذا النوع بالموشح نسبة "للوشاح" وهو الحلية ذات خطين يسلك أحداهما اللؤلؤ وفي الأخر الجوهر وهو جلد عريض مرصع بالجوهر شدته المرأة بين عاتقها وكشحها والثوب

الموشـــــح هو الثـــوب المزين: (2) "اتفق كل الأدباء والبحاث والدراسين للأدب أن الموشحات هي الأندلسية ونشأت في الأندلس بدون خلاف في أواخر القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي لازدهار فنون الموسيقى والغناء فيها وامتزاج العنصر الأدبي بالعجمي وكانت الحاجة ملحة إلى قصر المقاطع لعدم قفل السامع أو الإطالة في معنى المقصد والهروب من طول القصائد والابيات الشعرية كما جرت العادة فالغناء لم يكن حكراً على العصر الأندلسي بل كان معروفاً في العصر الاموي والعباسي ايضاً في الحجاز وبلاد العراق وأزدهر فيهما- أيضاً - ولكن أصل الاندلسيين بنوع من الفنون والجمود والرتابة بالقصيدة الموحدة ذات الأبيات الطويلة التقليدية التي كانت سائدة وحاولوا التجديد والاختصار وعدم الاطالة يخلف نوع جديد يتماشى مع الموسيقى والغناء وعلى هذا اختصر هذا الفن الشعري الغنائي الجديد الذي تنوعت فيه القوافي وتغيرت فيه الأوزان وقصرت فيه الأبيات وتغيرت فيه الألحان والعرض للعامة".(3) ، ويشير ابن خلدون أن سبب نشوء الموشح كثرة الشعر في الأندلس ووصوله إلى الدرجة القصوى من التنميق ، فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدت المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح يتمطونه أسماطاً أسماطاً وأغصاناً أغصاناً، يكثرون منها ومن أعاريفها المختلفة، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عن قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان ورغم الغموض الذي يسود النص فقد رجعنا أن المقصود بالأسماط أجزاء الأبيات وبالأغصان أجزاء الأقفال وبالبيت وحدة الموشحة أي الدور)(4)

والدور هنا يأتي بعد المطلع، وينسب هذا الفن إلى مخترعه مقدم بين معافي القبري "وذلك على أكثر الباحثين " قد وردت عدة آراء عن اختراع هذا الفن وتقاربت الآراء في ذلك ؛ ولكن الأكثر ذكراً هو القبري ويعتبر محط اتفاق بين الكثيرين.

أغـراضها:

كانت بدايات الموشحات تهتم بثلاث أغراض أساسية لها ارتباط كبير بالغناء وكانت مواضيعه الأولى كالغزل والخمريات ووصف الطبيعة وكانت هذه الأغراض هي السائدة في ذاك العصر لنظم الموشح والتقنين فيه ثم أضيف إليهم لاحقاً غرض المدح وكان سببه الأول كسب ود الحاكم وعطاياه ومن ثم لحقت الأغراض الأخرى كالرثاء والهجاء والزهد والتصوف والمجون فقد (أصل مركز الصدارة في الموشحات الأندلسية بقسميه الأنثوي والعلماني إلا أن القسم الأول فاق الآخر من حيث الكمية، وأكثر الجوانب طروقاً فيه هو التغني بجمال المحبوبة الجسدي وتصوير لوعة المحب بسبب بعاد المحبوبة وصدها المتواصل والحديث عن الواشي والعازل والرقيب وهي جوانب كان قد طرقها الشعر التقليدي من قبل)[5] عند الشعراء العرب الأوائل وكانت من بدايات وركائز الشعر عند العرب إلا إنها تطورت لاحقاً وتشعبت الأغراض وتعددت في الكثير من التوجهات الوصفية والخيالية والواقعية وأضفت جمال كبير لهذا التنوع والتعدد الشعري (ومن أجمل الموشحات التي قيلت في الغزل موشحة الأعمى التطيلي والذي يقول في مطلعها ضاحك عن جمال، سافر عن البدر، ضاق عنه الزمان، وهواه صدري).[6]

ومن موشحات الرثاء لأبي الحسن على من حزمون يرثى فيها بن ابي الحجاج فيقول:

يا عين بكي السراج الازهر النيرا اللامعٌ
وكان نعم الرتاج فكسرا كي تنثرا مدامعٌ
من آل سعد أعز مثل الشهاب المتقد [7]

أقسام الموشحات الأندلسية وخصائصها: تنقسم الموشحات إلى عدة أقسام:
ـ المطـــلع : وهو الشطر الأول في القصيدة.

ـ **القفل :** وهي مجموعة الأشطر المكونة للقصيدة والتي لزاماً أن تكون متطابقة مع المطالع من حيث القافية.

ـ **الـــدور :** وهو الذي وجب كونه مخالفاً للمطلع من حيث القافية عكس ما عرفنا في القفل.

ـ **البيت :** وهما الشطرين المتقابلين الأول قفل والثاني دور.

ـ **الخرجـــة :** وهي القفل الأخير للموشح والخاتمة له.[8]

خصائصها :

للموشحات خصائص تجعلها تختلف على الشعر المعروف أهمها:

ـ كثرة المحسنات وتنوعها كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز وغيرها.

ـ تعتمد في تميزها عن الشعر المعروف انها قصائد مغناة.

ـ أغلب مواضيعها كانت تدور عن الشجاعة والكرم والفروسية والحب والغرام وغلب على بعضها الطابع الديني وكثرة التصوف.

ـ غير مقيدة بوزن أو قافية محددة فنجد موشح واحد ويحتوي على العديد من القوافي المختلفة.

أبـــرز شـــعراء الموشحات:

من المعهود أن الموشحة تزدان بالقوافي المنوعة والأوزان المختلفة المتعددة ؛ ولكنها تحافظ على التقابل في أجزائها المتماثلة وهذا الأمر يحتاج إلى إنسان خبير مبدع دقيق الوصف ومتميز النظم وعالم بأصول الشعر والغناء ومن هنا لزاماً على وجود موشح متكامل وجب وجود شخصيات عديدة على قدر عالي من الحكم لإيجاد موشح جميل يعجب ويطرب اسماع من يقرأ أو يسمع لصاحبه وفن الموشح كغيره من الفنون له أسس بـــرزت وتميزت عن غيرها في طـــرق هذا وشهرته وأولهم كان مخترع هذا الفن محمد بن محمود القبري و القرير والأعمى التطيلي الحميد أبوبكر بن زهرعبادة بن ماء السماء 422هـ، وابن حيقل الإسرائيلي 472هـ بقى القرطبي، أبو بكر محمد بن زاهر الاشبيلي ت 595هـ ، أبو حسن بن المهلهل الجلياتي ، ومحى الدين بن عربي الأندلسي ت638 هـ وغيرهم كثير ، ولكن أوجزنا حديثنا عن المشهور والمعروف منهم والذين كانت موشحاتهم متناولة بكثرة ووصل جلها إلى عصرنا هذا وتداولت أكثر من

غيرها ، فالموشحات كغيرها من الفنون الأدبية لها خصوصيتها ولها رجالاتها الذين أعلو نجمها وتميزوا وتنوعوا فيها وفي أغراضها وخيالية سردها وعرضها.

الموشحات وتأثرها باللفظ الديني:

تعتبر الموشحات بمثابة ثورة منظمة على القصيدة ذات الطبيعة المعروفة

والمتعارف عنها بكونها ثورة تجديدية تختزل شكل حضاري يميل إلى الزخرفة والجاذبية انعاكساً للبيئة التي ظهرت فيها واشتهرت تلك البيئة المليئة بالصور والجماليات والترف والطبيعة الساحرة والقصور واشجار الزينة والزهـــور والخضرة والحياة التي كانت تفتقدها الصور الشعرية في بلاد العرب التي تميل إلى الصحراوية والحياة البدائية نوعاً ما وفي بداية ظهور الموشحات كما أسلفنا الذكر كانت مقتصرة على ثلاث أغراض غير مقيدة ونشطت كثيراً في الخمر واللهو والمجون والغزل الفاحش إلا أنها أصبحت تتهذب نوعاً ما لاحقاً وتأخد منحي آخر عند علو نجمها و اهتمام الكثير بها وبنظمها وتوجيهها للعامة و (لذلك كان أهم موضوع في الموشحات التي وصلتنا هو المدح أولاً والغزل والمجود تانياً، فأما الأغراض الأخرى من رثاء ووصف للطبيعة وهجاء فإن موشحات هذا العصر الذي ندرسه لا تمثلنا بوضوح فقد شاعت هذه الأغراض من بعد هذا العصر، وبذلك يكون الموشح قد تحدد حتى آواخر القرن الخامس بالموضوعين اللذين لازمها في نشأته وهما المدح والغزل، فاذا كان آواخر عصر المرابطين، ثم ما بعدهم من عصور أصبح الموشح يشمل أكثر الأغراض التي يتناولها الشعر".

واتجهت أغلب الموشحات لاحقاً الى الأمداح النبوية والنصائح الدينية ، ومن الموشحات التي تأثرت باللفظ الديني قول ابن الخطيب في موشحة مدحيه لسلطان غرناطة محمد الغني بالله يقول:

سلمى يا نفس في حكم القضاء	**وأعمري الوقت برجعي ومتاب**
وعل من ذكرى زمان قد مضى	**بين عتبي قد تقضت وعتاب**
وأصرفي القول إلى الموالي الرضى	**ملهم التوفيق في أم الكتاب** (9)

جاءت هذه الموشحة متأثرة بجملة الايمان بالقضاء والقدر من قول الشاعر سلمى يا نفس في حكم القضاء وهو الامر بالتسليم لحكم القضاء والقدر وعدم معارضة قدر الله وأن باب التوبة مفتوح والاقناع والاقتناع بأن كل ما مضى زال وانتهى بزواله والتوجه الان قولاً وفعلاً إلى المولى سبحانه وتعالى الملهم الموفق بسورة الفاتحة أم الكتاب ويطالعنا ابن عربي المرسى من وصفه الرواة بأنه أول من استخدم الموشح في التصوف اذ تصدر حلبة التوشيح في عصره وبرز فيها على أقرانه، وله ديوان من الشعر ضمنه ثلاثين موشحة كثير منها ذات رموز صوفية تذكر منها موشحة هذا

مطلعها :

"سرائر الأعيان/ لاحت على الأكوان/ للناظرين/ للعاشق الغيران/ من ذاك في بحران/ يبدى الاثنين - ويقول في الدور الثاني منها:

كل الهوى صعب	**على الذي يشكو**	**ذل الحجابْ**
يا من له قلب	**لو أنه يذكر**	**عند الشبابْ**
قر به الرب	**لكنه أفك**	**فأنو المتابْ**

وناد يا رحمن/ يا رب يا منان / أنى حزين / أضناني الهجران / ولا حبيب دان / ولا معين" .[10]

" هذه الموشحة تحاكي إثباتات الايمان والاقناع بالأدلة التي تدركها العين وتدل على عظمة الخالق في خلقه للعبد المتأمل الناظر إلى الأشياء والتخمين في من كان وراء خلقها، ويصف حال المتأمل كحال المريض الذي يصاب بمرض شديد وتغير وصفه ووضعه" [11] ، وتعلقه مباشرة بحقائق كان يتجاهلها وقت عنفوانه وقوته وما كان يحجب رؤيته وعدم اتصاله مع الله وطلب الحلول والانفراج لحاله من الخالق ويخاطب أصحاب القلوب بيامن له قلب لو أنه يشكو، بأن عليه أن ينير قلبه وستضويه لرؤية الأشياء على حقيقتها من صغر سنه ويعاش شبابه حياة كريمة خالية من الذنوب ؛ ولكن الأغلب طمس على قلوبهم وانحرفوا وتأخّـــروا في التوبة وأتباع طريق الحق.

ويقول- أيضاً- :

أيها البيت العتيق المشرف

جاءك العبد الضعيف المسرف

عينه بالدمع دوماً تدرف

غربة منه ومكر فالبكا ليس محموداً إذا لم ينفع

وجاءت هذه الأبيات لمناجاة صاحبها للبيت العتيق مكة المكرمة وينادي باسم البيت مستعطفاً وطالباً للقبول بأنه عبد ضعيف باكي العيون دارف الدموع خشوعاً وخوفاً من قوة الله عز وجل طالباً الرحمة والمغفرة للمعاصي التي سبقت في حياته ويشير إلى أن البكاء والندم والدموع لا يحمد فعله إلا إذا كان ذو نفع في مثل أحوال فالطابع الديني هنا غالب على هذه الابيات ويوضح أن صاحبها اتجه إلى البيت العتيق لأداء مناسك الحج طالباً من الله قبول ومغفرة زلاته وذنوبه وقد فاضت عيناه بالدموع خشوع وطلب المغفرة.

ويطالعنا لسان الدين بموشحته المدحية قائلاً فيها:

وروى النعمان عن ماء السماء كيف يروى مالك عن أنس

وهنا يشير الشاعر إلى تأثــره " بروايات الحديث الشريف فيذكر أن النعمان روى عن المطر الكثير كما كان يروى الصحابة الحديث عن بعضهم البعض وهي إشارة واضحة لتأثر الموشح بالدين والسنة النبوية المطهرة.

ويقول- أيضاً- :

فهو للنفس حبيب أول ليس في الحب المحبوب ذنوب [12]

وهنا يظهر التأثر جلي وواضح بلفظة ذنوب والتي تعني الذنب والمغفرة والعمل وجزاء العمل. ويقول ـ أيضاً- :

كان في اللوح له مكتئباً قوله إن عذابي لشديد

في هذا البيت كان التأثر واضح بالآية الكريمة **(وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)**[13] من نفس الموشحة ولكن في مكان آخر يقول صاحبها:

واصرفي القول إلى المولى الرضى ... ملهم التوفيق في أم الكتاب
الكريم المنتهى و المنتهى ... أسد السرح وبدر المجلس
ينزل النصر عليه مثلما ... ينزل الوحي بروح القدس

انتقال الموشح من المدح إلى الطابع الديني الواضح واحتواء أبياته على صبغة دينية وايمانية توضح ما عليه صاحب الموشح والذي يبين للقارئ أنه مؤمن بالقضاء والقدر ولا اعتراض له والتسليم لأمر الله تعالى ولتوفيقه كما جاء في أم الكتاب (سورة الفاتحة) وينتقل بعدها إلى الإشارة بممدوحة ويصف نزول النصر عليه كنزول الوحي على سيدنا جبريل [14]- عليه السلام - " قد تطوع الوشّاحون موشحاتهم لفن (التصوف) الذي تُستخدم فيه المادة رمزاً للحقائق الدينية وعلى رأس المتصوفين الذين طوعوا الموشح لتصوفهم الشيخ العارف (محي الدين بن عربي) الأندلسي المولد والنشأة، الدمشقي المتوفي سنة 638هـ وهذه الموشحة مليئة برموز ومصطلحات الصوفية وتعبيراتهم من عشق وهيام وبوح وكتمان، إلى غير ذلك من للألفاظ التي لا يفهم مدلولاتها إلا من بلغ مرتبة عالية من الحب الإلهي والايمان الصادق ويقول في مطلعها:

يقول والوجه ... أضناه والبعد ... قد حيره
لماذا البعد ... لم أدر من بعد ... من غيره
وهيم العبد ... والواجد الفرد ... قد خيره
في البوح والكتمان ... والسـر والاعلان ... في العالمين
أنا هو الديان ... ياعابد الأوثان ... أنت الضنين
كل الهوى صعب ... على الذي يشكو ... ذل الحجاب
يامن له قلب ... لو أنه يذكو ... عند الشباب
قد قرب الرب ... لكنه أفـك ... فأنو المتاب
وناد يا رحمان ... يا رب يا منان ... إني حزين
أخناني الهجران ... ولا حبيب دان ... ولا معين [15]

الطابـــع الديني غلب على هذه الموشحة ، وفيها من المعاني الكثير وهي معان توضيح مناجاة صاحبها وإيمانه بالله - تعالى - وتوكله عليه في أمر ويصف بُعْد العبد عن خالقه والحيرة التي تلحق بمن ابتعد عن التواصـــل مع خالقه الذي وصفه في موشحته بالواحد الفرد في إشارة الى التوحيد أحد ركائز الايمان والتوبة ، ومن ثُم انتقل إلى ذكر السر والعلانية تأثراً بالآية الكريمة في قوله - سبحانه وتعالى – : **(الذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِالَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَٰنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** [16] وتلا قوله - أيضاً - **" في العالمين "** ، وهي عرفت في التشهد في الصلاة كما ورد في رواية ابن مسعود اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين أنك حميدُ مجيد، ويظهر التأثر صريح وواضح حيث استقى صاحب الموشحة بعض كلماته وجملة من القران والسنة الشريفة دليل واضح على اهتمامه بالقيم الدينية والأخلاقية سواء كان ذلك بالألفاظ أم الأفكار أم معانيها ونقرأ أثر آخر للموشح " يتجلى في قصيدة زهدية لابن العسال الزاهد يحض فيها على التمسك بمذهب مالك يقول:

أياً من غدا جاهلاً ناسكا ... ان احببتم ألا ترى هالكا
هام إمام الهدى مالكا ... ولاتك مذهبه تاركـاً
منتهبه ناشراً من كفن ... لمن كان فيه ممهله قد دفن
إلهي يا من اليه القضـا ... عبيدك يأمل منك الرضى
ويستغفر الان عما انقضى ... فهيه له واغتفر ما مضى
وخلصه من موبقات الفتن ... لدى شدة مع أهل السنة[17]

يخاطب الشاعـــر في موشحته سامعيها بالنجاة من الهلاك باتباع الحـق واتباع المنهج الصحيح من الخاطئ وتمييز الصواب من الخطأ مما يتبعون ويقرأون ويعتقدون لان هناك من يدعى العلم وأصول الدين عن جهل وعدم معرفة وقد تنبه الشاعر من هذه الأوامر والتي تعتبر ذات أهمية كبيرة في الاعتماد واكتمال الايمان الصحيح عن النقل الخاطئ لأصول الدين وعواقبها الوخيمة على متلقيها ومتنبئيها والداعم لها، ثم يتوجه إلى ربه بطلب الرضى والاستغفار مما انقضى من عمره وما مضى منه في إشارة إلى

أنه ربما كان على بعض الخطأ أو الغفلة بأمور اعتقاده فيما سبق بعد أن جلت له حقائق غير التي كان يؤمن أو يعتقدها ، ومن ثم يدعوا الله أن يجنبه الفتن وان يحشره مع أهل السنه وأهل الايمان الصادق الصالح والصحابة التابعين الصادقين. و" امتدت مراحل الموشحات حتى وصلت عند بعض الموشحين إلى مرحله الضعف والزهد وفي هذه المرحلة تغلب على شعر الغزل موضوعات الشكوى من تقدم السنه، والحديث عن البلى الذي أخد يدب في كل شي منه حتى الاسم ثم ذكر الزهد في الدنيا ومتاعها الفاني والموت والقبر والنهاية المحتومة ومن شعر هذه المرحلة قول يحيى الغزالـــي ت 255 هـ:

ألست ترى أن الزمان طوائي ... ويدل خلقي كله ويراني
تحفني عضوا فعضوا فلم يدع ... سوى أسمي صحيحاً وحده ولساني
ولو كانت الأسماء يدخلها البلى ... لقد بأي أسمي لامتداد زماني
ومالي لا أبلى لتعين صحة ... وسبع أتت من بعدها سنتان
إذا عن لي شخص تخيل دونه ... شبيه ضباب أو شبيه دخان
فيا راغباً في العيش إن كنت دونه ... ملا وعض إلا دون خط عيان [18]

يطالعنا صاحب هذه الموشحة بهذه الأبيات وكأنه يقول كما قال النبي زكرياً - عليه السلام - في قوله – تعالـــى - : (**وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عُتِيّاً**) أو قوله – تعالـى - :(**قَالَ رَبِّ إِنِّـي وَهَـنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّـي وَاشْتَعَلَ ٱلـرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُـنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً**) [19] ، " فنرى التأثر الوضح لصاحب الموشّـحة بأن علامات الوهن والكبر قد بانت عليه وأن الزمان أخد منه ما أخد وتبدلت ملامحه وتراجعت صحته ولم يبقى منه سوى الاسم وحدة اللسان وأن عمره تجاوزا التسع والتسعين ولم يبقى له سوى الفناء والموت ولا مجال للاستمرار في اللهو والمجون والتوجه الى التوبة والاستغفار وطلب الرضى من الله والقبول فقط ؛لأن أيامه أصبحت قليلة ووجب التنبه لذلك.

فقد كان التأثر الديني موجود وبقوة في الموشحات وإن كان في أغلبها بعيدا عن الدين وهذا لا يعني انها كانت في بعضها تتجه نحو الخطاب الديني متأثرة، بالقرآن والسنة والمواقف الدينية الكثيرة والحكم والمواعظ وخصوصاً في فترات متأخرة منن ظهور فن التوشيح واستقرار أحوال الاندلس بعد انتشار هذا الفن وتهذيبه حتى أصبح مؤخراً فن التوشيح يختص بالخطاب الزهدي الديني ويختص بمدح الرسول - صلى

الله عليه وسلم - والتغني بالصحابة والأولياء الصالحين وأرتبط بالأمور العقائدية القريبة جداً وأوامر الدين والتوبة والاستغفار والرجوع الى الله

الخـــاتمة:

في خاتمة هذا البحث نصل إلى نتيجة مستوحاه مما ذكرنا وطالعناه :

ـ أن فن الموشحات كان فناً مميزاً رغم أنه مستحدثاً وهو يختلف كل الاختلاف عن الشعر العربي المعهود بكونه شعر غنائي ملحون ومجزأ بطـرق تختلف عن الشعر العربي إلا أن بعض الأدباء والبحاث قالوا : إن فن التوشيح هو لون من ألوان العظم ولكنه لديه خصوصية تجعله مختلف عن غيره باعتماده على قواعد غير قواعد الشعر وباتصاله الوثيق بالغناء وخروجه عن أوزان الشعر في بعض الأحيان وبعده عن النسق الشعري بين الصدر والعجز والاختلاف في القافيـــة وطريقة النظم فنياً .

ـ غلب علـــى الموشحات في بداياتها طابـــع المجون واللهو ووصف الخمرة ونشوتها والنساء والغلمان وكانت جلها لا تخضع لتقييد وكانت فاحشه ماجنة احتوت على ألفاظ عاميـــة وعجمية وبعد أن داع صيتها وأصبح الشعراء يتجهون إلى الخوض منها بكثرة تغيرت طريقة طرحها وغلب عليها طابع الإرشاد والنصح وأصبحت تتجه إلى الطابع الديني وتهذبت مناحيه ومقاصده وأصـــبح إلى الزهد أقـــرب وأغلب شعراءه تأثرت موشحاتهم بالدّين وآيات القرآن والسنة الشريفة والمواعظ والحكم الدينية والخوف من الآخرة حتى الخطر بشـــكل كبير نحو الطابع المدحى الديني وغلب عليه لاحقاً لتصل إلى عصرنا هذا وما إن ذكر الموشـــح إلا تبادر إلى الذهن مباشرة الشعر الغنائي الديني وهذا ما أصبحت عليه الموشحات اليوم ويبقى من الموشح فنتجديدي فرض نفسه بقـــوة على الشعر العربي وأوجد نفسه وأصبح فناً له قيمته وأصحابه ومواضيعه ومن أهـــم ألوان التجديد الذي عرفه الشعر العربي وأخترعه الأندلسيون بتأثر من معطيات بيئتهم الثقافية التي شهدت شيوع الغناء وتطور الموسيقى والبيئة الاجتماعية التي عرفت مجالس الأنس والبيئة الجغرافية التي تميزت بتلك الطبيعة الجميلة التي افتنن بها الاندلسيون وطروقها في شتى فنونهم وابداعاتهم.

الهوامـــــــــش :

ـ القرآن الكريم

1ـ دار الطـــراز في عمل الموشحات : ابن سناء الملك ، تحقيق جودة الركابي ، دار الفكر – دمشق –ط3- 1980 – ص 32.

2ـ تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين : إحسان عباس – ط1- عمان الأردن – دار دمشق – 2008 – ص 179.

3- المرجع سابق نفسه – ص 176 – 177.

4- الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : أحمد هيكل –دار المعارف – ط12 – 1997– القاهرة – ص 140.

5ـ مدخل الأدب الأندلسي : يوسف الطويل – دار الفكر – ط1 –لبنان – ص 154 – 155.

6- الادب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة – أحمد هيكل – مرجع سابق – ص 145.

7ـ مدخل إلى الأدب الاندلسي – يوسف طويل – مرجع سابق – ص 165.

8ـ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة – أحمد هيكل – مرجع سابق – ص 116.

9ـ تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين - احسان عباس – مرجع سابق – ص 187.

10ـ مدخل إلى الأدب الأندلسي: يوسف طويل – مرجع سابق – ص 180.

11ـ نفس المرجع السابق – ص 181.

12ـ الأدب العربي في الاندلس – مرجع سابق – ص 419.

13ـ سورة إبراهيم آية (7).

14ـ الأدب العربي الأندلسي : علي محمد سلامة – مرجع سابق – ص 419.

15ـ الأدب العربي في الاندلسي : مرجع سابق – ص 422.

16ـ سورة البقرة – آية 274.

17ـ تاريخ الأدب الاندلسي – عصر الطوائف والمرابطين : إحسان عباس – مرجع سابق – ص 189.

18ـ الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : أحمد هيكل ، مرجع سابق ، ص 162 – 163.

19ـ سورة مريم –آية (8).